دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الاستشراق دور المترجمين في النهوض الحضاري والتواصل الثقافي
المصدر:	مجلة الآداب العالمية
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	زين الدين، ثائر
المجلد/العدد:	س 38, ع 155,156
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2006
الشهر:	صيف / خريف
الصفحات:	113 - 140
رقم MD:	492406
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الترجمة، الاستشراق والمستشرقون، العلاقات الثقافية، حوار الحضارات، الحضارة الإسلامية، الأدب العربي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/492406

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الاستشراق
دور المترجمين في النهوض الحضاري
والتواصل الثقافي

د.ثائر زين الدين

أولاً في المصطلح:

لن نجدَ مفهوماً واحداً أو تعريفاً جامعاً لمصطلح " الاستشراق " فقد اختلفت وجهاتُ نظر الباحثين والدارسين إليه تبعاً لزاوية الرؤية أو بمعنى آخر لموقفهم منهُ، فإدوارد سعيد يرى " أن الدلالة الأكثر تقبّلاً للاستشراق دلالة جامعيّة (أكاديميّة)، ... فالملصقة ما تزال مستخدمة في عدد من المؤسسات الجامعيّة، فكل من يقوم بتدريس الشرق، أو الكتابة عنه، أو بحثه – ويسري ذلك سواء أكان المرءُ مختصاً بعلم الإنسان (انثر وبولوجي)، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرِّخاً، أو فقيه لغة (فيلولوجيّاً)- في جوانبه المحدّدة والعامة على حدّ سواء، هو

مستشرق، وما يقوم هو أو هي بفعلهِ هو استشراق"[1]، ويرى سعيد أن مصطلحاً مثل: الدراسات الشرقيّة، أو الدراسات الإقليميّة هو أكثر تفضيلاً من "الاستشراق" لدى المختصين لسببين أوّلهما أن هذا المصطلح ما يزال مصطلحاً غائماً وعاماً، وثانيهما أنّه يتضمّن الموقف التنفيذي السلطوي للاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[2].

ويخلصُ سعيد إلى ما يشبه تعريفاً مُحدّداً للاستشراق فيقول: "يمكن للاستشراق أن يُناقش ويحلّل بوصفِهِ المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق- التعامل معهُ بإصدار تقارير حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، بوصفِهِ، وتدريسه، والاستقرار فيه، وحكمه: وبإيجاز، الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائه وامتلاك السيادة عليه"[3].

ويرى محمود زقزوق أن الاستشراق هو علم العالم الشرقي وهو ذو معنيين: الأوّل معنى عام يطلق على كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كلّه، من أدناه إلى أقصاه، في لغاتِهِ وأديانِهِ وآدابِهِ وثقافاتِهِ، والثاني هو معنى خاص ينحصِرُ في الدراسة الغربيّة المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاتِهِ وتاريخِهِ وعقائِدِهِ.[4]

---

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق المعرفة- السلطة – الإنشاء: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط5، 1995 ص38.

[2] نفسهُ.

[3] نفسه، ص 39.

[4] د. محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / كتاب الأمة / قطر، العدد الخامس.

ويرى د. شكري النجار أن الاستشراق هو أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه ومحاولة إعادة توجيهه والتحكم فيه[1].

ويؤكد أدونيس أن المصطلح عام، "كل عبارة عموميّة تتضمن أخطاء كثيرة جديدة، وكل مفهوم يجب أن يتم البحث به خارج العموميات، يجب أن ينظر إلى كل مفكر على حدة، هناك مستشرقون ضد الاستشراق، يوجد مستشرقون فكّروا عربيّاً، أكثر من المفكّرين العرب أنفسهم. مثلاً " جاك بيرك " كان مستشرقاً، لكنني أعده مفكراً عربيّاً خدم العرب بشكل يفوق ما قدّمه كثير من المفكرين العرب، ويمكن القول إن المفكّر العربي " ابن خلدون " على سبيل المثال، كان بلغة الاستشراق مستشرقاً لأنه انتقد بعض الممارسات أو التقاليد العربية، الخطأ هو الإلحاح على المسألة السياسيّة في النظر إلى الاستشراق "[2].

وعليه فإننا نجد ما يشبه الاتفاق عند كثير من الباحثين العرب أن المستشرقين عموماً هم مجموعة من الناس منهم أساتذة وباحثون أكاديميون يعملون في ميادين الدراسات الشرقيّة فيدرسون العلوم والفنون والديانات والآداب والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق كالهنود والفرس والصينيين واليابانيين والعرب وغيرهم من الشعوب [3].

---

[1] د. شكري النجار، لمّ الاهتمام بالشرق، مجلّة الفكر العربي، ع ـ 31،1983، ص 71.

[2] خطوة نحو أدونيس، حوارات أجرتا وفاء الخطيب، دار رسلان، دمشق 2013، ص 74.

[3] انظر كلاً من : د. ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلاميّة في أوربا، معهد الإنماء العربي، 1982، ط1 و: د. عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية، القاهرة 1980، ص 9.

وهـذا مـا حـاول الـدكتور محمـد فـتح الله الزّيـادي أن يكثفـه في تعريفـه للاستشراق فقال: " الاستشراق إذاً هو محاولة التعرف إلى الشرق في إطار عام يتناول شرقاً واسعاً لا تحدّه الديانات والقوميات، أو في إطارٍ خاص يكون الإسلام محوره والعروبة أداته، ويمكن أن يكون الاستشراق وسيلة من وسائل السيطرة والتحكم بالشرق ...."[1]

وعلى كلِ حال فإن هذهِ الظاهرة التي لا نستطيع أن نحدّد بدايتها الحقيقيّة بدقة، والتي انطلقت أساساً بشكلٍ عفوي وكان الهدف منها التعرّف إلى الشرق سرعان ما أصبحت حركة منظّمة لها كوادرها ومؤسساتها المتعددة ويمكن أن نقول: لها مدارسها؛ فالاستشراق الفرنسي والإنكليزي يختلف عن الإسباني والروسي، والروسي مثلاً يختلف عن الألماني... وما إلى ذلك، كما أن عديداً من الدوافعِ المختلفة تكمنُ خلف الاستشراق منها الدوافع الدينيّة والاستعماريّة والاقتصاديّة والعلميّة وآخرها المعرفيّة[2].

وقد توسلَّ الاستشراقُ عديداً من الوسائل واستخدَمَ كثيراً من الأدواتِ لتحقيق غاياتِهِ المتباينة ويمكن أن نذكر منها: الرحلات والزيارات إلى الشرق، العمل الجامعي (بما يعنيهِ من معاهد متخصصّة في شؤون الشرق، وتدريس، وكراسي للدراسات الشرقيّة، ومؤتمرات وندوات وتنظيم المحاضرات وغيرها) وجهود نشر الكتب والمعاجم والموسوعات، والعمل الصحفي وإصدار الدوريّات

---

[1] د. محمد فتح الله الزبادي، الاستشراق (أهدافه ووسائله)، مغفل المكان، 1998، ص 17.
[2] نفسه، الصفحات (34 – 84) .

المتخصصّة التي بلغت منذ وقتٍ قريب حوالي (300) مجلّة[1] بلغاتٍ مختلفة، بالإضافةِ إلى جهود المستشرقين الجبَّارة في أعمال الترجمة وفي دخول بعضهم إلى المجامعِ العلميّة العربيّة وبخاصة اللغويّة منها (المستشرق هاملتون جب العضو المؤسس في مجمع القاهرة، د. طمسون رئيس المجمع اللبناني العلمي 1847، كارلو نللينوعضو مجمع القاهرة، لويس ماسينيون، عضو مجمع القاهرة، ألفريد جيوم عضو المجمع العراقي، آسين بلاسيوس عضو المجمع السوري... إلخ).

وسنحاول في بحثنا هذا التوقف عند الدور الكبير الذي لعبتْهُ الترجمة والمترجمون من العربيّة إلى لغاتهم الأمّ ضمن حركة الاستشراق، بوصف الترجمة واحدة من أدواتِ الاستشراق التي أشرنا إليها.

ثانياً ـ دور الترجمة في النهوض الحضاري و مد جسور التواصل الثقافي:

لو تمعنا في التاريخ لأدركنا أن الترجمة تؤدي دوراً كبيراً في تشكيل وتطوير العلاقات الثقافية بين الأمم. موضوعات الأدبِ تصبح أكثر تنوعاً وثراءً عبر الترجمة. اللغة نفسها تتسع وتصبح أغنى وأعمق. نحن نتعرّفُ إلى نمط حياة الشعوب الأخرى، ثقافتها، عاداتها، تقاليدها، تاريخها، أدبِها بالإضافة إلى علومها المختلفة بفضل الترجمة. وبصورةٍ مماثلة ومنطقيّة فإن شعوب العالم الغربي على سبيل المثال ومن خلال ترجمة أدب الشرق استطاعت أن تحصل على شواهد تميّز حياة الشرق الروحيّة والاجتماعيّة.

---

[1] نفسه، ص 53 .

وقد أثبتَ تاريخُ الشعوبِ جميعها أنّها في مراحِلِ نهوضِها وانطلاقِها لبناء حضارتها تكون أحوج ما تكون إلى ترجمةِ آثار الأمم الأخرى وإنجازاتِها في مختلفِ وجوهِ المعرفة، و لا بأس من أن نعودَ قليلاً على عُجالةٍ إلى تاريخنا نحن العرب لإثباتِ ذلك.

يرى الباحثونَ أنّ حالَ اللغةِ العربية وآدابها قد تغيّرت في العصر الأموي عمّا كانت عليهِ في الجاهلي، فرقّت الأساليبُ وقَلَّ التنافرُ والوحشي، واتسعت أغراضُ الشعرِ بخاصة وكثرتْ مع اتساع مطالب الحياة الجديدة؛ ولا غروَفي ذلك فقد تغيّرت حياةُ العرب؛ السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة؛ بفعلِ فتوحاتِهم ومغازيهم ووقوفِهم على إنجازاتِ مدنياتٍ مُجاورةٍ كانت ذات حظٍ من العلم والمعرفة، ومن ذلك على سبيل المثال ما قامَ بهِ خالدُ بن يزيد بن مُعاوية حكيمُ آلِ مروان، فقد أحضرَ جماعةً من فلاسفةِ اليونانيين – كما يذكرُ ابن النديم صاحبَ الفهرست – ممن كان ينزلُ مدينةَ مصر وقد تفصحَ بالعربيّة، وأمرهم بنقلِ الكتب في الصنعة من اللسانِ اليوناني والقبطي إلى العربي. ثُمَّ نقلُ الديوان وكان باللغة الفارسيّة إلى العربيّة أيامَ الحجّاج وقد نقلهُ صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم، وفي الشام كان الديوان بالروميّة وقد نُقِلَ إلى العربيةِ زمنَ هشام بن عبد الملك ونقلهُ أبو ثابت سليمان بن سعد.

ولنا أن نتخيلّ أهميّة مثل هذا الأمر على شؤون الدولةِ وسجلاّتها ومراسلاتِها واقتصادها وما إلى ذلك. ولكن الوثبة العالية في حركةِ الترجمة

والنقل عند العرب كانت في العصر العباسي وجاءت على ثلاثةِ أدوار[1] **أوّلها** من خلافةِ أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد أي من سنة 136 هـ إلى سنة 193هـ وقد اشتغلتْ في هذا الدور الطبقة الأولى من المترجمين نذكر منهم: يحيى بن البطريق، وجرجيس بن جبرائيل الطبيب عاش سنة 148هـ، وعبد الله بن المقفعّ الذي قتل نحو 143هـ، ويوحنَّا بن ماسويه، وسلاّم الأبرش وغيرهم.

والدور الثاني: وهو الأوسع والأغزر يبدأ من ولاية المأمون سنة 198هـ إلى 300هـ، وتنهضُ بمهمة الترجمة في هذا الدور الطبقةُ الثانية من المترجمين ومنهم: يوحنّا البطريق، الحجاج بن مطر الذي عاش سنة 214هـ، وقسطابن لوقا البعلبكي، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي، وحنين بن إسحاق، وابنه إسحاق بن حنين، وثابت بن قُرَّة الصابي. وحبيش بن الحسن(حبيش الأعسم)، وقد ترجم هؤلاء وغيرهم عشرات الكتب المهمّة؛ منها كتب أبقراط وجالينوس وأرسطوطاليس وأفلاطون.

ويبدأُ **الدور الثالث** من سنة 300 هـ إلى منتصف القرن الرابع ومن مترجمي الطبقة الثالثة: متى بن يونس، الذي كان ببغداد بين عامي 320هـ— 330هـ، وسنان بن ثابت بن قُرّة المتوفى سنة 360هـ، ويحيى بن عدي وعيسى بن سهربخت وهلال بن هلال الحمصي، وأبو علي بن زرعة.

---

[1] لمزيد من التوسع انظر:" عصر المأمون " د. أحمد مزيد رفاعي، الجلد الأوّل، مطبعة دار الكتب المصرّية بالقاهرة، 1928، 379- 398.

والجميل أن الترجمة في الأدوار الثلاثةِ السابقة لم تكن عن لغةٍ واحدة ؛ بل تم نقلُ عيون الكتب عن اليونانيّةِ والفارسيّة والهنديّة والقبطيّة واللاتينيّة والنبطية والسريانيّة والعبريّة.

لقد نقل المترجمون الرائعون عن اليونانيّة مثلاً كثيراً من كتب الفلسفة والأدب منها عديد من كتب أفلاطون " السياسة – المناسبات – النواميس – طيماوس– كتاب أفلاطن إلى أقرطن التوحيد – الحس واللذة – أصول الهندسة " وقد ترجمها على التسلسل" حنين بن إسحاق– يحيى بن عدي - حنين ويحيى – ابن البطريق وأصلحهُ حنين – يحيى بن عدي – يحيى– قسطة بن لوقا " ونقلت كتب أرسطوطاليس ومنها " قاطيغورياس(المقولات) : حنين بن إسحاق – كتاب العبارة : نقله حنين إلى السريانية وإسحاق إلى العربية – تحليل القياس : ثيادروس وأصلحه حنين - كتاب البرهان : إسحاق إلى السيريانية ومتى إلى العربية - الخطابة : إسحاق وإبراهيم بن عبد الله – كتاب الشعر : أبو بشر من السريانية إلى العربية – كتاب النفس – كتاب الحس والمحسوس – كتاب الحيوان – كتاب الأخلاق – وغيرها الكثير...

كما نقل المترجمون كتباً في الطب وفروعهِ منها كتب أبوقراط : " الفصول- الكسر – مقدمة المعرفة – الأمراض الحادة –أبيذيميا– الأخلاط – الماء والهواء – طبيعة الإنسان ...)

ونقلت معظم كتب جالينوس وكان الفضل في ذلك لحبيش الأعسم وحنين وأصطفان وغيرهم ومن هذه الكتب :" التشريح الكبير- اختلاف التشريح – تشريح الحيوان الحي – تشريح الحيوان الميت – علم أبقراط بالتشريح – الحاجة

إلى النبض – علوم أرسطو – تشريح الرحم – آراء أبقراط وأفلاطون – العادات – خصب البدن – المني – منافع الأعضاء – تركيب الأدوية – الرياضة بالكرة الكبيرة – الرياضة بالكرة الصغيرة – الحث على تعليم الطب- قوى النفس ومزاج البدن " وكلها ترجمها حبيش الأعسم، وترجم آخرون أعمالاً كثيرةً له بلغت حوالي خمسين كتاباً [1]

وترجمت في الرياضيّات والنجوم والهندسة والموسيقى والميكانيك كتب كثيرة منها لإقليدس وأرخميدس، وأبلونيوس، ومنالاوس، وبطليموس القلوذي، وأبرخس، وذيوفنطس وفيثاغورس، ومورطس وغيرهم .

وهناك عشرات الكتب عن الفارسيّة وعلى رأسها ما ترجمه ابن المقفّع، والتي مازال بعضها بين أيدينا وبعضها لعب دوراً هاماً جداً في النهضة الأدبيّة في أوربّا بعد أن ترجم إلى لغاتها عن العربيّة، من هذه الأعمال :

(كليلة ودمنة – الأدب الكبير – الأدب الصغير – اليتيمة – التاج في سيرة أنو شروان – مزدك) وغيرها الكثير ....وكي لا نطيل في استعراض الأعمال العظيمة التي نقلها هؤلاء المترجمون نكتفي بما ذكرناه [2]

والحقيقة أنه بفضل هذا الجهد العظيم وغيرِه بلغت الدولةُ العباسيّة وعصرُ المأمون بخاصة مبلغاً كبيراً من التقدم الحضاري، أرقى بمراحل مديدة من حالة

---

[1] نفسه،ص 384، 385 .

[2] يمكن العودة إلى المرجع السابق واستعراض بعض ما ترجم عن اللغات الأخرى التي ذكرناها .الصفحات (387- 397).

أوربّا وملوكها وممالكها، يقول الدكتور " طوطح "[1] في رسالته الإنكليزيّة عن حالة التعليم عند العرب : " إنه بينما كان شارلمان يتعلّم القراءة مكبّاً على مطالعة رسائله مع أترابه في مدرسة القصر، كان المأمون يعالج الفلسفة ومناقشة أقضيتها هناك في بغداد ".

ولقد كان لحركة النقل والترجمة هذه أفضال كثيرة على زيادة الثروة اللفظيّة في اللغة العربية في الميادين كافةً ، فهل كان لدينا في الجاهليّة أو صدر الإسلام ذلك التراث العظيم من الألفاظ الطبّية والمصطلحات وأسماء الأدويّة والأمراض والجراحة ... أو تلك الألفاظ الهندسيّة والريّاضيّة والاقتصاديّة وسواها، كما كان لحركة النقل تأثيرها على السمو بالعقليّة العربيّة عموماً وبالمدنيّة العربيّة.

وحين نذكر عصر الانبعاث في أوربا لابد أن نتذكرَّ مجموعة من أسماء عظماء علماء الشرق – محمّد الخوارزمي، أحمدالفرغاني، أبو نصر الفارابي، ابن سينا، أبو ريحان البيروني، ابن رشد، وغيرهم الكثير.

لقد انتشرت كتب المفكرين الشرقيين انتشاراً واسعاً، وشغلت أماكن مهمّة جداً في البرامج التعليميّة للجامعات والمعاهد الغربية وصنعت قاعدة لتطوّر العلوم في تلك الدول مثل إسبانيا وفرنسا، وإيطاليا وبريطانيا.

إن مجموعة من الأعمال الإبداعيّة الشهيرة مثل " ألف ليلة وليلة " و "سندباد" و"كليلة ودمنة " وغيرها مما يجسّد الفلسفة الشرقيّة نالت بفضل الترجمة مجداً عالمياً.

---

[1] نفسه، ص 394 .

ويلاحظُ المستشرقون الإنكليز التأثير الإبداعي المثمر للأدب العربي، والفارسي، والهندي والتركي على الأدب الانكليزي.

إن قصائد وأشعار الحب الحُر المتشّربة بروحٍ سامية، التي مزجت مابين روح الشرق والغرب وقدمها مبدعون مثل: ج. بايرون، ت. مور، أ. تينّسون، ف. تيككيرا، ر.ساوتين بلغت أوجَ الشهرة والمجد. وأصبحَ مبدعوها أصحابَ اتجاهٍ أدبيٍ جديد – " الطريقةُ الشرقيّة".

إن مايكل سكوت الذي عاش في القرن الثالث عشر، واتّبَعَ الترجمة المتسلسلة، بحيث ترجَمَ عن العربيّة إلى الإنكليزيّة عشرات الأعمال العلميّة والأدبيّة، ومنها أعمال لـ ابن سينا، وابن رشد جعَلَ من تلكَ الأعمال مؤثراً بارزاً على الفلاسفة الانكليز الشباب، وقد كان من المعجبين المتحمسين للثقافة الشرقية نخبة من الفلاسفة المشهورين مثل ر. بيكون، والشعراء من أمثال ج. تشوسيروليدغيت وغيرهما.

والحقيقة أن مجموعة من علوم العرب أثرت بصورة جليّة على نهضة الحضارة الأوربيّة وكان ذلك بعد أن ترجم أولئك الأوربيون نتاج العلماء العرب والمسلمين. يقول المستشرق الألماني البروفيسور هارتموت أوتو بوبتسين في سياق حديثه عن ذلك: " أعتقد أن الفلسفة تأتي في المقام الأول، وبخاصة فلسفة ابن رشد، لأن الأوربيين تعرفوا إلى هذه الفلسفة في الأندلس، وكان لابن رشد تأثير كبير في تطوّر الفلسفة المسيحيّة في النصف الثاني من القرون الوسطى. ثم يأتي الطب في المرتبة الثانية ؛ فقد كان لكتاب ابن سينا "القانون في الطب" الذي ترجم

إلى اللاتينيّة تأثير مباشر على الطب الأوربي، وعن طريقه أعادت أوربا اكتشاف جالينوس(الذي توفي نحو200 م) وكان يعد أهم طبيب في العصر القديم"[1] ويؤكد هارتموت أن ترجمات العرب لكتب جالينوس هي التي حمتها من الموت وعرّفت أوربا إليها، ويضيف أن للأطباء العرب بصمات واضحة على مسار الطب الأوربي وتدريسه في الجامعات الأوربيّة التي بقي بعضها يدرّس الكتب العربيّة حتى منتصف القرن السابع عشر كجامعة هربورنherborn على سبيل المثال. ويذكر هارتموت أن علم الفلك يأتي في المرتبة الثالثة بين العلوم العربيّة وما ترجم عن العربيّة - ولاسيما إلى اللاتينيّة- وأدى دوراً لا ينسى في النهضة الأوربيّة.

وأشار علماءٌ غربيون أنّهُ في الزمنِ الذي ظَهرتْ فيه في أوربّا تياراتٌ من الاضطهاد والعنف، و كانت مبنية على أساس رفض الحياة الإنسانية، في مرحلة التجديد، أدّتْ إبداعاتُ وأعمال مبدعين ومفكرين شرقيين مشبعة بفكرةِ كمال الإنسانِ وخلودهِ دور الدافع لتكوينِ أو بناءِ فكرة عن أنَّ الإنسانَ إنما هو – زهرة، وهو هدفُ بناء العالم أو وجود العالم.

إننا بدراسة تاريخ الروابط الثقافية المتبادلة بين الشرقِ والغرب نصبحُ شاهدين على المقدار الكبير لدور الترجمة في التعاون الثقافي بين الأمم والقوميات ولتعريف إحداها بالأخرى وكي لا يبقى كلامنا رجماً بالغيب فلنستعرض دور

(1) الاستشراق الألماني إلى أين / حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي ص " 138.

عديد من المستشرقين المترجمين ومن قومياتٍ مختلفة فيما ذهبنا إليه.

كان شيخ المستشرقين الفرنسيين **سلفستردي ساسي** (1758- 1838)، بل مؤسس الاستشراق الفرنسي الذي كان ضليعاً بمعرفةِ العربيّة وإتقانِها قد ترجَمَ عديداً من الكتب التراثية العربيّة إلى الفرنسيّة مِنها كتابُ " حياة الحيوان الكبرى " لكمال الدين الدميري، و " مقامات الحريري " و " حياة المتصوفّة " و " كليلة ودمنة "، كما ترجم الإنجيل إلى السريانيّة والعربيّة، وترجمَ إلى الفرنسية أيضاً " فريد الدين العطار " و " أحمد بن علي المقريزي "، وقد اقترحَ هذا المستعرب بعد احتلال نابليون مصر تأسيس الجمعيّة الآسيويّة، التي راحت تصدرُ " المجلة الآسيويّة " في عام 1822، ولو تحدثنا عن أعمالِهِ الأخرى، أعني ما يدخل ضمن باب تحقيق المخطوطات والتأليف فسنجد له كثيراً من الأعمال والجهود ومنها ما يتعلق بقواعد العربيّة ونحوها " أنطولوجيا النحو 1829 "والألفيّة 1833"، و " مختارات أدبيّة عربيّة – 1806 " وغيرها الكثير... ولنا أن نتخيل الدور الكبير لمثل هذا المستعرب والمترجم في مد جسور العلاقات الثقافيّة بين أمتين مختلفتين (العربية والفرنسيّة) ومثله كثير في تاريخ الاستشراق الفرنسي. ممّن لا نستطيع إلا أن نستذكر أسماءَهم حين تذكر الاستشراق الفرنسي، ومن هؤلاء **لوي ماسنيون**(1883- 1962) الذي قَدّمَ من الجهود العظيمة في هذا الباب " ما جَعَلَ الأوربيين يفهمونَ العلاقة الموجودة بين الديانتين الإسلامية والمسيحيّة، إذْ تمكن من شرح هذهِ العلاقة من خلالِ الرجوع إلى المنابع، التي رآها في إبراهيم كنموذجٍ للتوحيد. لقد دمَجَ ماسنيون بين الروح المسيحيّة والروح الإسلاميّة، وقارنَ بين

الديانتين بكل حُبٍّ وإيمان... "[1] واستطاعَ فعلاً من خلالِ دراستِهِ للتصوف وللحلاّج وإصدارِهِ عديداً من الكتب عنه " عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية 1909 " و" كتاب العطّار عن الحلاج 1946 " و " أخبار الحلاّج 1975 "، أن ينصف جوانب عديدة في التراث العربي الإسلامي، لقد رأى أن الغربَ الحالي يفتقد إلى البعد الروحي في حين أن الشرق الإسلامي طافح به ولهذا اتجَهَ نحوه ودرسَ التصوّف الإسلامي – ولاسيما بعدهُ النفسي – بعمق.

ومن هؤلاء أيضاً **ايتين مارك كاترمير** (1782 – 1856) الذي اهتَمّ كثيراً بمخطوط "خطط المقريزي" ولفتَ انتباه المستشرقين إليه وهو الذي يُعد أقدم كتاب متخصص في التاريخ العمراني، وفيه يقول كارتمير: " إنه لا توجد من مدينة شرقيّة يمكن أن تفخر بمؤلف يبلغ مرتبة " الخطط " من حيث الاكتمال والطرافة كما هو الحال مع القاهرة[2]، ولقد ترجم هذا المستعرب إلى الفرنسيّة عديداً من الأعمال منها " السلوك لمعرفة الدول والملوك للمقريزي" و " تاريخ السلاطين المملوكين في مصر " و " وتاريخ المغول في بلاد فارس " . ومن أهم ما قام بترجمته إلى الفرنسية هو " مقدمة ابن خلدون " في ثلاثة مجلدات، ونشر الكتاب عام 1858، بعد وفاته بعام . وقد بقيت هذه الترجمة واحدة من أهم المصادر للباحثين الغربيين. وهو بترجمته " خطط المقريزي " و " مقدمة ابن خلدون " قدّم للحضارة

[1] د. شاكر نوري، جاذبية الاستشراق الفرنسي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، مايو 2011، ص 46.
[2] نفسه، ص 28.

الغربيّة " شريانيين مهمّين في نهضتها هما : العمران وعلم الاجتماع، اللذين أبدع فيهما العرب، وسبقوا الأمم الأخرى ...."[1] .

ولا يمكننا في هذا السياق أن ننسى دور مستشرق مثل **ريجيس بلاشير** (1900- 1973)، هذا المستشرق الذي أغرم بشاعر العربية العظيم أبي الطيب المتنبي ووضع فيه أطروحة دكتوراه حملت عنوان " ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين " كما ترجم إلى الفرنسيّة مجموعة من أعمال كبار شعراء العرب كامرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والخنساء، والمعرّي وبشار بن برد وقد قام أيضاً بترجمة "معاني القرآن الكريم "عام 1949، مع أنه كان قد ترجم إلى الفرنسيّة منذ منتصف القرن السابع عشر ومنه نقل إلى الانكليزيّة والهولندية، لكن ما ميّز ترجمته أنّه قدم ترجمة إبداعيّة [2] وأرفقها بتفسيراتٍ وشروحات ضروريّة للقارئ الأوربي .

وكي لا نغفل مسألة ترجمة الآثار العربيّة إلى الشرق لا بد لنا من ذكر نخبة من كبار المستعربين الروس الذين نقلوا مئات الأعمال العربيّة الإسلامية إلى الروسية كان من أولها ترجمة الدكتور **بيوتربوستيكوف** للقرآن الكريم عام (1716) عن الفرنسيّة بالطبع، أيام بطرس الأكبر الذي اهتم بصورة خاصة بالشرق وتراثه، بالإسلام تحديداً لأنه رأى فيه فلسفة ومنهاجاً يسير على ضوئهما رجال الحكم في المناطق الإسلامية وربما لهذا السبب عيّن الأمير الملدافي الأصل

---

[1] نفسه، ص30.

[2] نفسه

كانتيمير (1673 - 1723)، الاختصاصي في قضايا الشرق الإسلامي مستشاراً له في قضايا الشرق وهو من أدخل إلى روسيّا أول مطبعة ذات حروف عربيّة، وبوساطتها تمكن القيصر من طباعة أول بيان روسي موجّه إلى المناطق الواقعة تحت السلطة العثمانيّة، والمستشرق كانتيمير كان من أوائل المستشرقين الروس الذين أعطوا صورة موضوعيّة عن الشرق والإسلام ،ففي بحثه المكتوب باللاتينية تحت عنوان " De religion etstatu imprii " والذي ترجمه إلى الروسيّة **ألينسكي**، قام المؤلف بإعطاء صورة علميّة سلّطت الضوء على ظروف النشأة التاريخيّة لمحمّد(ص)، وبعدها يتناول كيف أن الأتراك حاولوا توظيف الإسلام لمآربهم السياسيّة الخاصة "[1] ومن هنا يرى الكثيرون انطلاق الاستشراق الروسي والذي تمثّل بخطوات عمليّة كان لها دورها الكبير لاحقاً ومنها " تحضير كوادر روسيّة اختصاصيّة في الشرق وتأسيس مدارس ومعاهد لتعليم اللغات الشرقيّة، ولدراسة الحضارات الشرقيّة، وجمع المخطوطات والمسكوكات والآثار الشرقيّة في أماكن مخصصة لها، وترجمة الأدبيات الأوربيّة عن الشرق، وبداية تحقيق المخطوطات الشرقيّة"[2]

ويزداد الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية في مرحلة القيصرة كاترينا التي صدّرت قراراً بتاريخ 27 أيلول 1772 يقضي بإلزاميّة تعليم اللغة العربية في المدارس المختصّة بتعليم اللغات الشرقيّة إلى جانب التتريّة والفارسيّة والبخاريّة .

---

[1] د. سهيل فرح الحضارة الروسيّة وأسئلة الهويّة والآخر – العربي، دار علاء الدين، دمشق، 2010، ص 183

[2] نفسه، ص 183

وسيزداد اهتمام الروس أدبيّاً وعلميّاً بالثقافة العربية بعد ترجمة كتاب " ألف ليلة وليلة " بين أعوام (1763 – 1771)حيث طبع بعد ذلك عديداً من المرات (1776- 1789 – 1796- 1803) فأحدث ضجّة كبيرة في الأوساط الثقافية الروسيّة، وأثر بصورةٍ واضحة على إبداع عديدٍ من الأدباء الروس، الذين نسجوا حوله مئات من القصص والأعمال وكل ذلك بسبب ما فيه من خيالٍ رائع وثّابٍ غنيٍ ، جاء بدلاً لتلكَ الينابع الكلاسيكيّة التقليدية التي كان الغربُ قد مَلّها! تكتبُ مجّلة " ابن الوطن " الروسيّة عن الليالي بعد أن ترجُمت إلى الروسيّة عن جالان في اثني عَشرَ مجلداً وطُبعت مَرات عديدة كما أسلفنا: " ... لوحة دقيقة لروح ولطابع الحياة المدنيّة، وللطبائع الأسريّة لشعبٍ كانَ قوياً في غابر الأزمان، وانتشرت منجزاتُهُ في أطراف العالم الثالث. ونحنُ نتعرف من خلال هذهِ الأساطير إلى العرب تحتَ خيام الصحراء، وفي قصور الخلفاء، وفي المجتمعات التجاريّة، وفي القوافِلِ الرُحّل، وفي الواقع الاجتماعي"[1].

أما المستشرق الشهير سيمسون دي ساسي فيتوقف عند عنصري الخيالِ والتشويق في الكتاب فيقول: " يجب أن نعد العرب معّلمين لنا في ابتكار الأحداث الشيقة، وفي العناية والاهتمام بالتنويع المستمر من خلال عالم الأساطير المتألق للسحرةِ والعجائب، الذي يجعل حدود العالم أكثر اتساعاً وثراءً وينميّ القوى الإنسانية، وينقلنا إلى آفاق الروعة، ويثير دهشتنا حيال المفاجآت"[2] وستصلُ

[1] د. مكارم الغمري، مؤثرات عربّية وإسلامية في الأدب الروسي، سلسلة عالم المعرفة العدد 155، الكويت، نوفمبر 1991، ص40

[2] نفسه، ص40-41

درجة تقدير هذا الكتاب مرتبةً تجعل كاتباً كبيراً معاصراً هو بورخيس يقول: " لقد نشرَ جالان مُجلدهُ الأول عام 1704 و أثارَ نوعاً من الفضيحة، لكنهُ في الوقت نفسه سَحَرَ فرنسا العقلانيّة التي كان يحكمها لويس الرابع عشر، عندما نتأمل بالحركة الرومنتيكية نفكّر عادةً بتواريخ جاءت جد متأخرة. لكن يمكننا القول إن الرومنتيكيّة بدأت في تلك اللحظة عندما قرأ شخصٌ ما في باريس أو النرويج (ألف ليلة وليلة). هذا القارئ يترك العالم الذي شرّعَهُ بوالو ويدخل عالم الحريّة الرومنتيكيّة"[1].

ويؤكد بورخيس أن الليالي كتاب عَشقَهُ منذُ الطفولة، وأوّل ما قرأهُ من أعمال، وقد لعبَ دوراً كبيراً في بناء شخصيتِهِ الأدبية.

وسنسمَعُ من ماركيز ما يشبهُ هذا القول حين يروي أن المصادفة جعلتهُ يعثرُ في مكتبة جدّه على " ألف ليلة وليلة " وأنه لو لم يفعل لما صار أديباً: " هو ما صنَعَ مني أديباً، بعد أن سحرتني الحكايات داخله، وأكثر ما شُغفتُ به هو دور الراوي"، وقبل هذين العملاقين ألم يتمنَّ فولتير لو أنهُ يفقد الذاكرة ليستعيّد لذّة قراءة الليالي من جديد؟ وهل يستطيعُ قارئ قصص هانس أندرسن أن يتغاضى عن كثير من الإشاراتِ والتشابهات القادمةِ من الليالي إلى قصصه، والتي انغرست في خيالِهِ الطفل عندما كان أبوهُ صانع الدمى الخشبيّة يروي لهُ تلك الحكايات ومثيلاتها من الحكايات الشعبيّة الدنمركيّة...

---

[1] بورخيس ، سبعُ ليالٍ ، دار الينابيع ، دمشق 2009، ص61- 78.

وسنسرفُ في الحديث لو استعرضنا شهادات كبار الكتّابِ في تأثير الليالي على إبداعِهم، وستصبحُ المسألةُ أكثر تشويقاً وصعوبةً لو حاولنا دراسة ذلك في إبداعاتهم روايةً وقصةً ومسرحاً وأوبّرا وما إلى ذلك ؛ إن هذا الأثر الشعبي الشفوي الذي اشتركت في تكوينِهِ شعوبٌ غير قليلة من هنودٍ وفرسٍ وعربٍ شاميين وعراقيين ومصريين ودوّنَ حوالي القرن الخامس عشر في الإسكندريّة أو القاهرة ثُمّ انطلَقَ في أرجاء العالم، هو واحدٌ من أكثر الكتبِ شهرةً في كل الآداب ومن أكثرها تأثيراً في إبداع المبدعين، إنه كتابٌ لا يموت – على حد تعبير بورخيس – إنه شاسعٌ ورحبٌ .

ثم قام أدباء روس بترجمة قصص وحكايات شرقيّة وعربيّة أخرى ونوادر ولاسيما عن الفرنسيّة في ذلك الوقت منها : " طرائف آسيويّة "، " حكايات شرقيّة " وقد تعمّق هذا الاهتمام لاحقاً بإنشاء مدرسة استشراقيّة روسيّة مستقلّة في جامعة خاركوف(1804) م وتبعها التحاق باحثين ومستشرقين في مدينة روسيّة أخرى مثل قازان وبعدها موسكو ثم بطرسبورغ بركب الاستشراق .

ففي موسكو بدأ البروفيسور الروسي **بلديريف** (1780- 1842)بتدريس العربية في جامعة موسكو، وقد أصدر كتباً بالعربية في جامعة موسكو، ومنها كتبٌ في " النحو والصرف "، " وكان لبلديريف وتلامذته فضل كبير في ترجمة قصص وحكم شرقيّة نشرت في المجلات الروسيّة، ومن تلامذته **كاركونوف** (1806- 1858)الذي ترجم قصائد للنابغة الذبياني، وقد أسهم بلديريف في تعريف الأدباء الروس الكبار من أمثال ليرمنتوف وغونشيرييف إلى آداب العرب

وحضارتهم، وترك عدداً من القصائد والقصص عن الشرق العربي عكست حبّه وتعلّقه بالأدب العربي"[1]

ولا تنتهي قائمة المستشرقين- المستعربين الروس التي تجعلنا ننحني احتراماً لجهود أصحابها في نقل الثقافة العربية والإسلاميّة إلى جمهور واسعٍ من الشعب الروسي والناطقين بالروسيّة وتوضيح صورة هذهِ الثقافة، الصورة الحقيقيّة غير المملوكة بتصوّرات الفكر الاستشراقي المركزي الأوربيّ المؤمن بـ "رقي الغرب " و" دونيّة الشرق"، ومن هؤلاء المستشرقين الكبار الذين ترجموا وحققوا مئات الأعمال العربيّة: **فرين** مؤسس المتحف الآسيوي والمشرف عليه حتى مماته (1851)، وواضع دراسة مهمة عن " ابن فضلان " – 1823، **سنكوفسكي** الذي أصدر " قصص شرقيّة " و " مذكراتي عن سوريا " وحرّر مع تلامذتهِ " القاموس الموسوعي – الذي صدرَ في بطرسبورغ 1835- 1841 " وأشادَ بأعمالِهِ بوشكين وكلوهيربرغ وتشرينشيفسكي، **تيجولييف** الذي ترجَمَ عن العربية " رحلات السندباد "، وقصائد للمتنبي وأخرى لشاعر مصري: عمر بن الفارض (القرن الثالث عشر).

والحقيقة أنّه بفضل كلٍ من سنكوفسكي وفرين ازدادَ اهتمام المثقفين والمبدعين الروس بالثقافةِ العربيّة والإسلاميّة عموماً فرأينا شاعراً بأهميةِ **بوشكين** يغوصُ عميقاً في الثقافة العربيّة، ويتأثّر بالعديد من أعمالها الأدبيّة والفكريّة وسواها، ومن ذلك تأثّره بـ " ألف ليلة وليلة " الذي بدا جلياً في قصائدِهِ

[1] نفسه، ص 189.

(روسلان ولودميلا ـ ليالٍ مصريّة ـ أندجيلو ـ القمر يتألق ـ التعويذة "[1]. ومن ذلك أيضاً تأثّره بالقرآن الكريم والسيرة النبويّة حيثُ بدا الأمرُ واضحاً في عديدٍ من النصوص أهمّها " الرسول " أو " النبي "[2] التي كتبت عام 1826، و" قبسات من القرآن 1824 "وتضم تسعَ قصائد، والتي قالَ فيها شيخ النقاد الروس بيلنسكي " إنها ماس يتألق في إكليلٍ من أشعار بوشكين"[3]

وقد تابَعَ أيضاً الشاعر والكاتب الكبير **تورغينييف** ما تُرجَمَ من شعرٍ ونثرٍ عربيين إلى الروسيّة وربّما إلى الانكليزيّة أيضاً، وكتبَ قصائد مهمّة عن فلسطين وجبال لبنان.ويجمع الدارسون أن ظلالاً ثقافية جميلة ألقتها الثقافة العربيّة على إبداع نخبة من كبار الكتاب الروس مثل: ميخائيل ليرمنتوف (1814 – 1841)، الذي انتجَ عديداً من القصائد يظهر فيها بجلاء تأثير الثقافة العربيّة الإسلامية والقرآن الكريم والسيرة النبويّة ومنها: " فاليريك– 1840 " و " الشركسي – 1828 " و"هبات التركي - 1839 " و " ثلاث نخلات – 1839 "، و " الرسول – 1841 " و " قبسات من القرآن"[4].

---

[1] د. مكارم الغمري، مؤثرات عربيّة وإسلامية في الأدب الروسي، سلسلة عالم المعرفة العدد 155، الكويت، نوفمبر 1991، ص 75- 76.

[2] ترجمت هذهِ القصيدة أكثر من مَرّة وبعنوانين مختلفين، ومن أهم الترجمات ترجمة الشاعر العراقي حـ ـسب الشيخ جعفر، بعنوان "النبي ".

[3] انظر د. مكارم الغمري (سابق)، ص 114/ ف بيلنسكي، المؤلفات الكاملة، موسـكو 1955، ج7، ص 353 . وانظر أيضاً مالك صقور، بوشكين والقرآن، دار الحارث، دمشق، 2000

[4] ف بيلنسكي، المؤلفات الكاملة، موسكو 1955، ج7، ص 353 / انظر د. مكارم الغمري (سابق)، ص 139 – 152

وليف تولستوي (أحاديث مأثورة لمحمّد 1910- وغيرها)، وإيفان بونين الذي طاف معظم البلدان العربية سائحاً وخبرَ بنفسه حياة الشرق العربي في زمنه وكتبَ ما أسمّاه الناقد السوفيتي تارتاكوفسيكي " المجموعة العربية"، وهي قصائد مثل (محمد مطارداً 1906 – زينب – البدوي – القاهرة – معبد الشمس – امرؤ القيس وغيرها).

ويقتضي مِنا الإنصافُ أن نذكَرَ كما أسلفت نخبةً من المستشرقين الذين أنفقوا حياتهم في البحث في أغوار الثقافِةِ العربية ونقل الكثير من دررها إلى الروسيّة ومن هؤلاء: **موفالينسكي (1808 – 1877)**، **كاظم بيك**، **بيريزيف** (1818- 1896)، **مورافييف**، **بازيلي**، **هو السون**، **غريغورييف**، **عبد الله كلزي**، **نافرتسكي**، **جرجس**الذي عَرّف القارئ الروسي إلى كتاب " الأغاني " لأبي فرج الأصبهاني، وقد نشر بعد وفاة الباحث عام 1900، **رازين** (1849- 1908)، **بارتولد** (1869- 1930)، **كازادييف**، **غ.أ. مرقس** (1846 – 1911) الذي ترجَمَ معلقةَ امرئ القيس إلى الروسيّة عام 1900، وكتبَ دراسةً لغويةً تاريخيّة عن " فن الخطابة عند الخليفة علي " كما ترجَمَ أعمالاً عديدة منها المخطوطة التي غطّت رحلة المؤرخ والرحالة العربي مكاريوس الحلبي إلى موسكو، في عهد الأمير ألكسي ميخالونيتش وقد انتهى من الترجمة عام 1900 ونشرت في خمسة مجلدات وقرابة الألف صفحة، **كريمسكي** (1871 – 1941)، **خاليدوف**، **غاتفيلد** الذي ترجم المعلقات السبعة، أشعار عمر الخيام 1863، **سابلوكوف**(1804- 1880)، **ماشانوف**، **بندلي الجوزي**(1871- 1934)وفي المرحلة السوفيتيّة يمكن أن نذكر:

م. ساليه، مار، كوزمين، إيرليخ، إبرام، مدينكوف، كريمسكي، يوشانوف، باراتوف، كاشتالوف، بيلييف، سميدت، لوتسكي، والأكاديمي الكبير كراتشكوفسكي " الذي كتبَ نحو ستمئة دراسة علميّة حول تاريخ ونظرية الآداب العربيّة في القرون الوسطى وفي المرحلة المعاصرة، وحققَ مخطوطات عربية كثيرة منها مخطوطات عن الشعراء : الوأواء الدمشقي وابن المعتز وأبي العلاء المعري، وتحت إشرافهِ صدرت الطبعة الأولى الكاملة لكتاب " ألف ليلة وليلة "[1] وهو الذي تَرجِمَ إلى الروسيّة " كليلة ودمنة " وقصة سبأ، والعصر الصفدي في تركستان في القرن العاشر، ولهُ أيضاً " تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب"الذي أصدرته الجامعة العربيّة عام 1963 وكتاب " تاريخ الأدب العربي " و " مع المخطوطات العربية"، وقد توّج تلك الأعمال بترجمتِهِ للقرآن عن العربيّة مباشرةً حيثُ نشرت هذه الترجمة في موسكو عام 1963 .

ولعلَّ ما ميّزَ المستعرب المبدع **كراتشكوفسكي** من كثيرين سبقوه أو عاصروه هو إلمامُهُ الواسع بالأدب الجاهلي، والأدب العربي الإسلامي والأدب العربي الحديث والمعاصر، ولقد كان من أشد المدافعين عن جمال البيان العربي وعن دور الأدب العربي وتأثيره في الحضارة الأوربيّة مروراً طبعاً بالأندلس، ولقد أبرز ما للشعر الأندلسي من تقاليد شرقيّة أصيلة، وتوقّف ملياً عند الشاعر العربي الأندلسي ابن قزمان ودوره في الشعر الشعبي الأندلسي والأوربي .

[1] د. سهيل فرح، سابق، ص 224.

ويقـول كراتشكوفـسكي عـن الـشعر العربـي القـديم: " بلـغَ في العـصرين الجاهلي والعباسي ذروة الكمال الشعري سواء من حيث لغته وأوزانه وأغراضه أم من حيث سبكه وتعدّد مواضيعه. ويعد بعض علماء اللغة هذا الإبداع الـشعري ذروة الخلق اللغوي عند الشعوب الساميّة ؛ وقولهم هذا يسوّغه ما في ذلك الـشعر من غنى في المفردات وجمال في الصنعة وسهولة في التركيب"[1].

وكي لا نبدو متحيّزين للمستشرقين – المترجمين الفرنسيين والروس لا بُدّ لنا من أن نشير إلى أن لنظرائهم الألمان دوراً غير قليل في تعريف الناطقين بالألمانية بثقافة الشرقيين وعلى رأسهم العرب ؛ فقد بدأت الجامعات الألمانيّة بتدريس اللغة العربيّة في القرن السادس عشر، وارتبطت البدايات بدراسة اللاهوت، وبرزَ اسم **يوهان رايسكه** (1716- 1774) الذي كان أوّل من حاولَ تدريس اللغة العربيّة كمادة مستقلّة عن اللغاتِ الساميّه الباقيّة، فاهتمَ بدراسة الأدب العربي والأمثال العربيّة، وترجَمَ بعضاً من قصائد أبي الطيب المتنبي إلى الألمانية لكن الدراسات العربيّة بالمعنى العميق للكلمة لم تبدأ إلا مع المستشرقين: **فيلهلم فرايتاغ** (1788 – 1861) في مدينة بون، **وهايزيش فلايشر** (1801 – 1888) في مدينة لايبزغ وكانا قد تتلمذا على يدي دي ساسي الفرنسي. وسيقوم فلايشر بتدريب نخبة من المستشرقين الألمان الكبار فيما بعد من أمثال **نولدكه وغولدتسهير ويعقوب بارت وأوغست مولرو**... الخ، وفي هذا السياق لا بُدّ من ذكر المستشرق الكبير

[1] نقلاً عن د. سهيل فرح / سابق / ص 225.

فرديناندفوستفلد (1808 – 1899) الذي كرّسَ تدريس العربيّة وإحياء تراثها[1] في مدينة غوتنغن، وحقّقَ الكثير من كتب التراث العربي ونصوصه اللغويّة والأدبيّة كـ " عجائب البلاد " للقزويني، وسيرة ابن هشام " و " وفيّات الأعيان " لابن خالكان و " كتاب المعارف " لابن قتيبة و " الاشتقاق " لابن دريد و " معجم البلدان " لياقوت الحموي و" معجم ما استعجم" للبكري وغيرها الكثير.

أما المستشرق الألماني **فيلهلم آلورد** (1828 – 1909) فقد وضَعَ فهرس المخطوطات العربيّة كلها الموجودة في مكتبات برلين، ضمن عشرة أجزاء ضخمة، وحقّقَ وترجمَ عدداً من الدواوين الشعريّة مثل خمريات أبي نواس والدواوين الستة، وديوان رؤبة بن العجّاج وقصيدة خلف الأحمر.

وتطولُ قافلةُ المستشرقين الألمان المتخصصين بشؤون اللغة العربيّة فنذكر منهم في القرن العشرين **كارل بروكلمان، وأغست فيشر، وجورج يعقوب، وركندوف، وليتمان، وبرجشتراسر، ويوهان فك**، وغيرهم ولقد امتاز الاستشراق الألماني من غيره باهتمامِهِ بالأعمال اللغويّة والأدبيّة بالدرجة الأولى، وبأعمال التحقيق والدراسات النقديّة للتراث العربي، حيثُ " اشتُهِرَ بنشر كتب التراث العربي وبإصدار طبعات محققّة تحقيقاً علمياً مع إجراء دراسات نقديّة وفهرسة دقيقة وشاملة للكتاب " ويشير البروفسور هارتموت إلى وجود جوٍ علميٍّ متكامل في أوربا – على حدِ تعبيرِهِ – وتعاون وثيق بين العلماء والمستشرقين في

[1] الاستشراق الألماني إلى أين / حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي ص " 135 – 136 ".

الجامعات الأوربية، ما سمحَ لعددٍ كبير من الأعمال التراثيّة الضخمة أن تصدرَ في ألمانيا، مثل " تاريخ الرسل والملوك" للطبري، و" طبقات ابن سعد"، و"دائرة المعارف الإسلاميّة" وغيرها....

ولا بدَّ لنا أخيراً من أن نذكر أن بعض المستشرقين المعاصرين تابعوا مسيرة أسلافهم ولكنهم توجهوا هذهِ المرة إلى الأدب العربي الحديث فترجموا أعمالاً لنجيب محفوظ و جمال الغيطاني وجبران خليل جبران، ومحمد شكري وغيرهم، وأصبحَ القارئ الألماني المهتم قادراً على الاطلاع على حال الأدب العربي الحديث، مع أن هذهِ الترجمات لم تكن وفق خطة مدروسة في عملية الترجمة، بل خضعت للانتقاء الشخصي والمزاج الخاص، ولذلك قد نجد أعمالاً أدبيّة ليست مهمة في وطنها، لكنها ترجمت لهذا السبب أو ذاك، وتعاني حالياً عمليات الترجمة من العربيّة إلى الألمانيّة صعوبات كثيرة: ليس أولها ضعفنا كعرب في تقديم صورة إيجابيّة للثقافة العربيّة المعاصرة تجعل الآخر مندفعاً أو مقبلاً نحونا، ولن يكون أخرها هروب بعض الكتاب العرب من لغتهم إلى الكتابة باللغات الحية واسعة الانتشار لأسبابٍ عديدة، وقلة عدد النسخ المطبوعة من أي كتاب عربي مترجم إلى الألمانية حيث لا يزيد العدد المذكور عن 3000 نسخة إلا حين يتعلق الأمر بطباعة عمل مثل " ألف ليلة وليلة " !!

ويمكن الحديث طويلاً عن المستشرقين الإسبان والطليان الذين قدّموا الكثير في مجال ترجمة الآثار العربيّة والإسلاميّة إلى لغاتهم، ولاسيّما أن هذين الشعبين كانا على علاقاتٍ دائمة مع العرب، علاقاتٍ متباينة ومختلفة، حكمتها عوامل كثيرة... ويمكن أن نقول مثلاً إن الدافع المعرفي والعلمي هو المحرّك الأول للاستشراق الإسباني، ويأتي بالمرتبة الثانية الدافع الديني...

ولقد ركز المستشرقون الإسبان كنظرائهم الألمان على التراث العلمي العربي فاهتموا به حفظاً وفهرسة ً وتحقيقاً ونشراً، ولاسيما أن مكتبات إسبانيا امتلكت كمّاً كبيراً من المخطوطات العربية، وهنا لا يمكن أن ننسى المستشرق ،**آسين بلاسيوس** الذي خلّف مئتين وخمسين كتاباً وبحثاً وكذلك **غونزاليث بلانسيا** (1889- 1949) الذي ترك ثلاثمئة وعشرين كتاباً وبحثاً، ولقد ترجم المستشرقون الإسبان كثيراً من الكتب العربية ونشروها ما أفاد النهضة العلمية الأوربية كما أشرنا سالفاً، وما مكّن من تعريف الإنسانية بالفكر العربي الإسلامي، ومن أشهر المترجمين في هذا المجال **أميلوغرسيّاغومث**، و**غينغوس** (1809- 1879) الذي ترجم " نفح الطيب" إلى الإنكليزية، و" تاريخ ملوك غرناطة " وغيرها الكثير **وسلفادور غوميث** الذي اهتم بالجوانب الفلسفية بوجه خاص، وله أعمال حول ابن رشد وابن حزم، ومن أعماله ترجمة " تهافت التهافت " لابن رشد[1] إلى الإسبانية، " وما وراء الطبيعة عند العرب " و " نظريّة الاستسلام في صوفيّة الإشراق " **و ألاركون** (1880- 1932) الذي أتقن العربية ودرّسها في معظم الجامعات الإسبانيّة وترجم عديداً من الآثار العربية .

وأخيراً مهما كان دور الاستشراق والمستشرقين ومهما كانت الغايات القريبة أو البعيدة التي انطلقت منها مؤسساته، فإن ما قام به المترجمون من جهود جبّارة في نقل تراث الشرق عامة ً، وتراث العرب منه بخاصة إلى لغات العالم المختلفة قد أثمرت في تقديم صورةٍ عن أهميّة هذا التراث، والقسط الكبير الذي اضطلع به

[1] انظر : د. ميشال جحا، الدراسات العربيّة والإسلامية في أوربا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص 149

منتجو تلك الثقافة في بناء صرح الحضارة الإنسانيّة، وفي مدّ الجسور بين شعوب الشرق وأمم الغرب، وبين ثقافة الشرق وحضاراته وثقافات الغرب وحضاراته؛ وصولاً إلى خلق حوار الحضارات والشراكة فيما بينهما عوضاً عن الصراع والصدام الذي بشر به الكثير من المفكرين الغربيين .....